شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٢)

قال أبو عثمان:

(وفي رواية موسى ابن عقبة عن إسحاق بن يحي عن عبادة بن الصامت زيادات حسنة، وهي التي أخبرنا بها أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد الرازي قال: أنبأنا أبو عثمان محمد بن عثمان بن أبي سويد قال: حدثنا عبد الرحمن – يعني: ابن المبارك – قال: حدثنا فضيل بن سلمان عن موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحي عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتر عليه رزقه فيدعوني فأرزقه؟ ألا مظلوم يذكرني فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفكه؟ قال: فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسيه))) هكذا الرواية، وهذا الحديث قد رواه الطبراني في ((الكبير))، و((الأوسط)) بنحوه، إلا أنه قال: يحي بن إسحاق لم يسمع من عبادة ولم يروي عنه غير موسى بن عقبة، وبقية رجال الكبير – أي الطبراني الكبير – رجال الصحيح؛ وأخرجه الآجري دون جملة (ويعلو كرسيه).

(وفي رواية أبي الزبير عن جابر، من طريق مرزوق أبي بكر الذي خرجه محمد بن إسحاق بن خزيمة مختصراً. ومن طريق أيوب عن أبي الزبير عن جابر، الذي خرجه الحسن بن سفيان في ((مسنده))، ومن طريق هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن عشية عرفة ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، ويقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوماً أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة))) هذا الحديث

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى أبي يعلى والبزار، وقال: فيه محمد بن مروان العقيلي، وثقه بن معين وابن حبان، وفيه بعض كلام وبقية رجاله رجال الصحيح.

(وروى هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا مضى ثلث الليل، أو شطر الليل، أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح)).

أخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أنبأنا أبو العباس السراج قال حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى تطلع الشمس)) وهذا اللفظ: ((حتى تطلع الشمس)) مخالف للروايات الكثيرة حتى يطلع الفجر، فالظاهر والله أعلم، أنها شاذة غير محفوظة، وأن المحفوظ حتى يطلع الفجر، أو حتى ينفجر الصبح، وذلك لاتفاق أكثر الرواة على ذلك، وهذه الرواية تفرد به عبيد الله بن موسى وفيه مقال.

قال أبو عثمان:

(أخبرنا أبو محمد المخلدي قال: حدثنا أبو العباس الثقفي قال: حدثنا الحسن بن الصّباح قال: حدثنا شبابة بن سوار عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت، فقال: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مضطر أكشف عنه ضره؟ هل من مستغيث أغيثه؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا)).

أخبرنا أبو محمد المخلدي قال حدثنا أبو العباس – يعني: الثقفي – قال: حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن الأغر أنه شهد على أبي هريرة

وأبي سعيد أهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فقال: ألا هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ألا هل من تائب يتاب عليه)).

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حمشاد قال: حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفّار ببغداد قال: حدثنا أبو منصور الرمادي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: أنا الملك أنا الملك، ثلاثاً من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر)).

سمعت الأستاذ أبا منصور على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول: سئل أبو حنيفة عنه فقال: ينزل بلا كيف. وقال بعضهم: ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بالتخلي والتملي) وفي نسخة: بالتجلي وليست كذلك فلا مناسبة لها، والتخلي يعني الخلو، والتملي يعني الملاء، يعني المقصود تخلية مكان، وملاء آخر.

(لأنه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات المخلوقين، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف.

(وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب ((التوحيد)) الذي صنفه، وسمعت من حافده) يعني حفيده، (أبي طاهر رحمه الله: باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة، من غير صفة كيفية النزول مع إثبات النزول، فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله عز وجل ولّى نبيه صلى الله عليه وسلم بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين بالنزول بصفة الكيفية، إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول.

قال: أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو محمد الصيدلاني قال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد قال: حدثنا أحمد بن صالح المصري قال: حدثنا ابن وهب قال: أنبأنا مخرمة بن بكير عن أبيه {ح}، وأخبرنا الحاكم قال: حدثنا محمد بن يعقوب الأصم – واللفظ له – قال: حدثنا إبراهيم بن منقذ قال: حدثنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه قال: سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا، قالوا: وأي يوم ذلك؟ قالت: يوم عرفة.

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ينزل الله تعالى في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ليلاً إلى آخر النهار من الغد، فيعتق من النار بعدد شعر معز كلب – وفي بعض الروايات: بعدد شعر معز بني كلب –) القبيلة المعروفة، **(ويكتب الحاج، وينزل أرزاق السنة، ولا يترك أحداً إلا غفر له، إلا مشركاً أو قاطع رحم أو عاقاً أو مشاحناً)).**

وهذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد، لكن الترمذي قال عنه: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث الحجاج، وسمعت محمدًا – يقصد البخاري رحمه الله – يضعف هذا الحديث، ثم قال: يحي بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحي بن أبي كثير.

قال أبو عثمان:

(أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة قال: أنبأنا جدي الإمام قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي {ح} قال الإمام) والمراد به محمد بن إسحاق بن خزيمة، **(وحدثنا الزعفراني قال: حدثنا عبد الله بن بكر السهمي قال: حدثنا هشام الدستوائي وحدثنا الزعفراني قال: حدثنا يزيد –يعني: ابن هارون – أنبأنا الدستوائي {ح}، وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون بالإسكندرية قال: حدثنا الوليد عن الأوزاعي جميعًا عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار قال: حدثني رفاعة بن عرابة الجهني.**

({ح} قال الإمام: وحدثنا أبو هشام زياد بن أيوب قال: حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير قال: حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار قال: حدثني رفاعة بن عرابة

هذه المادة لم تراجع على الشيخ .حفظه الله .

الجهني قال: صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) صدرنا أي رجعنا، **(من مكة، فجعلوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يأذن لهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما بال شق الشجرة الذي يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض إليكم من الآخر!))**) وفي هذا كناية وحسن أدب وتورية، يعني لم يشأ النبي صلى الله عليه وسلم، أن يقول ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبغض إليكم من غيره، ولكنه كنى، فقال: ما بال شق الشجرة الذي يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض إليكم من الآخر، يعني من الشق الآخر، كناية أنكم أحب إليكم تصدروا ولا تلزموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعبر عن الشخص بالمكان.

(فلا ترى من القوم إلا باكياً، قال: يقول أبو بكر الصديق: إن الذي يستأذنك بعدها لسفيه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، وكان إذا حلف قال: ((والذي نفسي بيده أشهد عند الله ما منكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد))) أي يقتصد فلا يغلو ولا يصرف **(إلا سلك به في الجنة، ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، وإني لأرجو أن لا تدخلوها حتى تتبوءوا ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكنكم من الجنة، ثم قال: إذا مضى شطر الليل -أو قال: ثلثاه- ينزل الله إلى السماء الدنيا، ثم يقول: لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يدعوني فأجيبه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الصبح) هذا لفظ حديث الوليد))**.

(قال شيخ الإسلام:) والمراد به أبو عثمان نفسه، هذا من النساخ.

(قلت: فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته؛ إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق؛ كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كبيراً.

وقرأت لأبي عبد الله بن أبي حفص البخاري، وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة، وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال أبو عبد الله - أعني ابن أبي حفص: هذا عبد الله بن عثمان، وهو عبدان شيخ مرو- يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة: قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول الله عز وجل: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، وقوله عز وجل: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

هذه المادة لم تراجع على الشيخ . حفظه الله .

فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ}، فهل يجيء ربنا كما قال، وهل يجيء الملك صفاً صفاً، قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى بذلك، ولا ندري كيف جيئته.

فقلنا لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيتم من أنكر أن الملك لا يجيء صفاً صفاً، ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب، قلنا: فكذلك من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب) لله دره رحمه الله، كيف ألقمهم حجرًا، وكيف ألزمهم الحجة، حيث فرقوا بين المتماثلات، فالله عز وجل قال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، فسألهم ما تقولون في مجيء الرب ومجيء الملك، فقالوا أما مجيء الملك فحق وصدق، يأتون صفًا صفًا، فقلنا لهم: ومجيء الرب؟ قالوا لا نعلم، كيفيته، قال: إن لم نكلفكم عمل كيفيته، وإنما نسألكم عن مجيئه، فلما أبوا أن يثبتوا، قال: ما تقولون فيمن أنكر مجيء الملك صفًا صفًا؟ قالوا كافر مكذب، قال: فكذلك نقول: أن من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب.

وهكذا مقالات أهل البدع مضطربة، ومقالات أهل السنة مضطردة.

(قال أبو عبد الله بن أبي حفص البخاري أيضاً في كتابه: ذكر إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا قال لك الجهمي: أنا لا أومن برب يزول عن مكانه.

فقل أنت: أنا أومن برب يفعل ما يشاء) انتهى الكلام على مسألة النزول، وتبين بذلك أن أهل السنة والجماعة، يثبتون لله عز وجل هذه الصفة، صفى حقيقة على ما يليق بالله جلّ وعلا، ولا يحرفونها إلى مجيء أمره أو إلى نزول أمره، أو إلى نزول ملك من الملائكة، فإن أهل البدع حرفوا هذه النصوص المتواترة، فقالوا: أن المراد بالنزول نزول أمره، أو نزول ملك من الملائكة، والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: أن نقول: أن هذا خلاف ظاهر النص، والأصل في الكلام أن يحمل على ظاهره.

الوجه الثاني: أن نقول: إن دعواكم هذه تقوم على إثبات محذوف، والأصل في الكلام عدم الحذف.

فهم يزعمون أن ينزل ربنا: أنه ينزل أمر ربنا، إذًا يلزمهم أن يقولوا بمحذوف، والأصل في الكلام عدم الحذف.

الوجه الثالث: أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن الذي ينزل يقول من يدعوني، من يستغفرني، من يسألني، ومثل هذا هل يمكن أن يصدر عن غير الله عز وجل؟ هل يمكن لملك من ملائكة الله أن يقول: من يدعوني فأستجيب

له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ لا والله؛ إذ لا يغفر الذنوب إلا الله عز وجل، ولا يجيب الداعين إلا الله، ولا يعطي السائلين إلا الله سبحانه وتعالى، فهذا يدل على بطلان هذه الدعوى.

الوجه الرابع: أن نقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الذي يترل إلى سماء الدنيا، وأنه يترل ثلث الليل الآخر، ومن المعلوم أن أمر الله وملائكته، لا تختص بهذا الجزء من الليل، فأمره سبحانه وتعالى يترل دومًا، وملائكته كذلك تعرج وتترل دومًا، فحملهم هذا على الثلث الأخير من الليل تحكم وتحجر، فإن قالوا – وانظروا كيف يحيدون ويروغون روغان الثعالب – المراد نزول أمر معين، أو ملك معين؛ قلنا لهم إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن منتهى هذا النازل سماء الدنيا، فإي نفع لنا يكون بأن تترل الرحمة فقط إلى السماء الدنيا، أو الأمر إلى سماء الدنيا، لابد أن هذا أمر متعد يبلغ الناس، وبه يتبين أن مقالات أهل البدع وتحريفاتهم؛ واهية كبيت العنكبوت.

إذًا نقول: إن نزول الله تعالى نزولا حقيقًا يليق بجلاله.

مسألة مهمة اختلف فيها السلف ا لمتقدمون: وهي مسألة الحركة والنقلة، عند الكلام على مسألة الترول، فإن بعض من يتكلم على مسألة الترول، يلحق كلامه بنفي الحركة والنقلة، واستمعوا مثلًا إلى هذا النص من كلام الأشعري في كتاب ((رسالة إلى أهل الثغر))، وهي ما ألفه في فترة اعتناقه لمذهب الكلابية، يقول: (وليس مجيئه حركة ولا زوال)، ويقول: (وليس نزوله نقلة)، فهل مثل هذا التعبير تعبير سائغ؟

الواقع أن من يثبت نزول ومجيء وإتيان، وينفي الحركة ويقول هي مجرد صفة= أنه مفوض، لأنه نفى المعنى، لكن يبقى هل يسوغ التعبير بلفظ الحركة أو لا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (اختلف أصحاب أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في الترول والإتيان والمجيء وغير ذلك، هل يقال: أنه بحركة وانتقال أم يقال بغير حركة وانتقال؟ أم يمسك عن الإمساك والنفي، على ثلاثة أقوال ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب اختلاف الروايتين والوجهين، فالأول: – أنه بحركة وانتقال – قول أبي عبد الله بن حامد، وغيره — وذلك أن عبد الله بن حامد يترع نحو الإثبات، والمبالغة في الإثبات رحمه الله –، والثاني: قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته – وهم من أصحاب الإمام أحمد، لكنهم أقرب إلى أصحاب الأشعري من غيرهم، وكان بينهم موادة رحمهم الله، والثالث: قول أبي عبد الله بن بطة وغيره، قال: ثم هؤلاء فيهم من يقف عن إثبات اللفظ، مع الموافقة على المعنى، وهو قول كثير منهم، كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد

هذه المادة لم تراجع على الشيخ . حفظه الله .

الرحمن وغيره، ومنهم من يمسك عن إثبات المعنى مع اللفظ، وهم في المعنى منهم من يتصوره مجملا، ومنهم من يتصوره مفصلا أما مع الإصابة وأما مع الخطأ) انتهى كلام شيخ الإسلام، ذكره في ((مجموع الفتاوى)) الجزء الخامس، صفحة أربعمائة واثنين، فينبغي الرجوع إليه لأنه مبحث دقيق، إذ أن الكلام في هذه المسألة، ربما آل بالإنسان إلى ضرب من التفويض.

والصحيح والله أعلم ما ذهب إليه ابن بطة من إثبات المعنى دون التصريح باللفظ، بأن يقتصر الإنسان على اللفظ النبوي واللفظ القرآني، من إثبات المجيء والإتيان والنزول، لكن دون أن يقول بحركة أو نقلة أو غير ذلك، ولا ينفي ذلك أيضًا.

وقد مر الإمام أحمد بقاص يقص، ويذكر نزول الله عز وجل، وقال: من غير حركة ونقلة، قال من كان مع الإمام أحمد: فوجم الإمام أحمد في مكانه ساعة، وتأثر ثم التفت، وقال: يا هذا قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إي الزم لفظه ولا تزد عليه فإنه أعلم بربه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.